مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

شَبَابُ الأُمَّةِ بَوَّابَةُ العَودَةِ

حُسين عمّار

٢٠٢٥

www.barathacenter.com

شَبَابُ الأُمَّةِ بَوَّابَةُ العَودَةِ

محمّد علي بردى

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

٢٠٢٥

مَركزُ بَراثا للدّراسات وَالبُحوثِ
بيروتَ - بَغدَادَ

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

شَبَابُ الأُمَّةِ بَوَّابَةُ العَودَةِ

◂ **حُسين عمّار**[1]

مُلَخَّصٌ

يُضيء المقَال على مزايا الإنسان في عُمر الشَّباب من تَوثُّب دائم واستعداد للتطور والتغيير، كما يتناول تلك المزايا في خلفيَّتها الإسـلاميَّة الأصيلة. ثمَّ يعالِج فرصةَ الشَّباب في الواقع الحاليّ للمنطقة، بعد عرضٍ موجز للمتغيرات والظروف المستجدة ما بعد اندلاع معركة طوفان الأقصى.

بعدَ مُحاولةِ فَهم الواقع وفَهم طبيعة الشباب وقابليَّاتهم، نُقدّم طرحًا حول وظيفة الشَّـباب ومسؤوليتهم في نهضة الأُمَّة وتعزيز مسارها الصاعد. وذلك مع التَّركيز على قضيَّة التصدّي للشؤون العامَّة، وما ينطوي عليه ذلك التصدي من هواجس وشروط ونتائج.

كَلِمَاتٌ مِفتَاحِيَّةٌ: شباب، مجتمع، أمّة، تغيير، حرب، حضارة.

١ - كاتب وباحث في الفلسفة الإسلامية.

مُقَدِّمَةٌ

مِـن الثَّوابت في فَهـم عقليَّة البَـشر، أنَّ المَرء كُلَّما ازداد سـنًّا انخفضت مرونته الفكرية، وازداد تَصلُبًا في آرائه. بمعزلٍ عن تفسير هذه الظاهرة وتشريح أسبابها، إلَّا أنَّها دُون ريب قاعدةٌ عامَّةٌ لا تخلو من استثناء. في زمن المُتغيّرات والتحدّيَـات والبَلاءات الصَّعبة، تكثُرُ دوافعُ النَّقد وإعادة التفكير في الأمور. فـترى ما تعارف عليه المُجتمع من الأفكار والعادات فترةً طويلةً باتَ موضع شـكٍّ وسـؤال، هل كان من الصَّحيح أن نَفعل ذلك؟ وأسئلة من هذا النوع. المسألة التي يَختلف فيها الشبابُ عن الكهول، والتي تُحسَب لصالح الكُهول في الحـالات الطبيعيّة، هـي الخبرة. أمَّا هنا، في هذا النـوع من الأزمنة، فإنَّ نقـص الخبرة هو المَنجاةُ. فالخبرةُ قد تخدع صاحبهـا، حين تُقنعه بأنَّه قليلُ الخطأ، مُجرّب، يعرف الأمورَ ودهاليزها، وأنَّ المشـكلةَ ليسـت في خياراته، إنَّما فيـما جاء من الخارج. لذا، تراه يتوجَّس كثيراً من التشـكيك في تجربته السَّـابقة. أمَّا ذاك اليافع الذي لم يجمع رصيـدًا يرفعه عن الأرض بعد، فتراه جاهزًا لأيّ نقد، متواضعًا أمام احتماليَّة الخطأ، مُتحفّزًا لتجربة بناءِ واقعٍ جديدٍ يبدأُ باكتشافه، لأنَّ روحَه كذلك، ما زالت تستكشِف.

الشَّبَابُ المؤمِنُ

تتعاظمُ هذه القيمةُ العالية للشباب في المجتمعات المُتديّنة والإسلاميّة منها على وجه الخصوص، لما يقدّمه الدينُ الإسلاميّ من ذخيرةٍ روحيَّةٍ ونفسيَّةٍ ومعنويَّةٍ هائلة لحامليه. في أزمنة الفتنة والصِعاب، لابدَّ من الرُّكون إلى روح الشَّباب، ليس فقط إلى عمرهم. روحُ الشباب هي الروح الثَّوريَّة التي قد تسكن أيَّ جسدٍ، غضًّا كان أم قاسيًا، بل إنَّها قد تعيش في الرَّأس الأشيب والصدر المُتعب وتتغلغل فيهما كما لم تفعل في الفتى. لكنَّ هذا يحتاج وعيًا بالفكرة، وعزمًا على نُكران الذات، وهو ليس وضعًا مُتوقَّعًا في كلّ حال. وعليه، وإلى أن نتثبَّتَ من أنَّ كُهولَنا بأغلبهم ذوو أرواحٍ شابَّةٍ وثوريَّة، تعالوا نستمع إلى الشباب، نأخذُ برأيهم، نرى بعيونهم ونُبصر بعقولهم، ثمَّ لنضعَ كلَّ ذلك على طاولةِ الحكمة التي بناها أسلافُنا.

مَعَالِمُ الوَضعِ الجَديد

نهاية العام ٢٠٢٣، بدأت معالمُ منطقة غرب آسيا تتبدّل. أعلنَ أعداءُ شعوب المِنطقة هدفهم: "خلق شرق أوسط جديد". لكنَّ النَموذج الذي يسكن مُخيّلتهم قد سقط بفعل ثبات المُقاومين على مختلف الجبهات، من فلسطين فلبنان فالعراق واليمن. وعليه؛ فإنَّ "الشَّرق الأوسط الجديد" الذي يريدونَه هم لم يولَد بعد. لكن هذا لا ينفي أنَّ هناك شيئًا ما قد وُلد، مخالفٌ

لما كنَّا نحلُمُ به نحن وهم على حدٍّ سواء. هذا الواقع المستجدّ مليءٌ بالفُرص والتحدّيَات، وهو ما يستدعي استنفارًا واستعدادًا عاليًا للتَّكيُّف معه وتوجيهه لمـا فيه خير بلادنا وأهلنا. أمَّا وقد نزلوا هم بـكلّ ثِقلهم لأخذِ زمام المبادرة، بقي الدور علينا للتَّصدّي.

في هذا الواقع الجديد عِدَّةُ متغيّرات أساسيَّة لابدَّ من الالتفات لها، وهي كالتَّالي:

- يد أمريكا الطويلة أصلاً، قد تطاولت أكثرَ فأكثر.
- كيان الاحتلال المؤقَّت حاز العديد من النقاط في جولاته العسكرية مع حركات المقاومة.
- تجرِبة المُقاومة الشَّعبية أثبتت جدواها وفعاليتها وهي مشروعٌ يُبنى عليه.
- مِزاج الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة تَحرَّك كثيراً نحو شاطئ فلسطين وقضايا الأُمَّة بعد أن كان غارقًا في همومه الوطنية المحدودة.
- فارقُ القُوَّة العسكريَّة والسياسيَّة في مِنطقتنا أسقط كلَّ وهمٍ بترف القُعود والركون عن العمل والجهاد، بمختلف ميادينه.
- وحدةُ الأُمَّةِ باتت حاجةً مُلحَّةً أكثر من أيّ وقتٍ مضى.

■ اكتشفنا أنَّ لدينا خَزَّانًا رهيبًا من الطاقات الشَّبابيَّة لم يتم استثماره بعد.

إنَّ المشكلاتِ المجتمعيَّةَ الناتجة عن الحروب والمآسي تكون قطعًا أكبر من قُدرة المُجتمع نفسه، لأنَّها شيءٌ جديد. الأزمة تكون أعرضَ من أكتافنا، ولمواجهتها، نحتاج أكتافًا جديدةً بحجم التَّحدّي، لا أكتافًا قديمةً نَعرّضها. وهذه الحاجة لا يَسدُّها إلَّا الشباب، وبالأخص الجامعيّ منهم. فإذا انخرط هؤلاء في المَيدان، سيُوفّرون طاقاتٍ هائلة وقُدراتٍ عظيمة، تجعل الوقتَ المتاحَ للمعالجة يبدو وكأنَّه أكبر، والكُلفة المُتوقَّعة تبدو وكأنَّها أصغر. هناك فراغٌ نشأ مؤخَّرًا، لا يمكن سدَّه إلّا بعقولٍ وأذهان رشيقة، بكلّ ما تحمله الرشاقةُ من معنى. والرشاقةُ سِمةُ الشَّباب، سمةُ أرواحهم وأجسادهم، تلك الرغبة الكامنة في قلبِ الشَّاب لاكتشاف الدنيا وكَشفِ الغموض وخوض المغامرات واكتساب التجربة، هي مفتاح النَّصر في حربنا المستمرَّة مع الاستعمار الإحلاليّ الذي يقوده الاستكبار العالميّ.

تَحَدّي الأُمَّة: الخَسَارَةُ وَالتَّعويضُ

في السَّابق، كانت الأُمَّة كلُّها هي من خسرت بشهادة (الحاج قاسم سليماني) و(الحاج أبي مهدي المهندس)، لا إيران والعراق فحسب. كان المستضعفون في الأرض أوَّل المتألمين لخسارةِ هؤلاء الرجال، لأنَّ بركةَ

جهادهم كانت تَطالُ المستضعفين أوّلاً وأخيراً. وكذا هو الوضع اليوم، بشهادة (السيد نصر الله) ورفاقه القادة، خسرت الأمَّة كلُّها عقولاً مُبدعة وأرواحًا مُخلصة، كذلك الأمر بالنسبة لشهادة (الحاج إسماعيل هنيَّة) و(القائد السنوار)، فقد كانوا المِتراس الأوَّل في فلسطين مقابل الغول "الإسرائيليّ". إنَّ مسؤوليَّةَ ترميم ما تصدَّع بفقد أولئك العظماء تقع على الجميع. هنا، تسقط الحدودُ وأوهام الجغرافيا، هنا بالتحديد، يُصبح الجرحُ واسعًا باتّساع الصحاري والمدن التي تروم رَفع الضَّيم عنها. إن كنت سيّدًا حُرًّا تريد الحفاظ على إنسانيَّتِك، فاستشعر الحُزن والغضب في داخلك، ثمَّ اجمع حقيبتَك والبس جعبتك وانزل إلى المَيدان. أنت وحدك تدري ما تملك بين يديك، أنت وحدك تدرك مدى القوّةِ التي أودعها الله في وجودِك المتَّصل به سبحانه، تلك القُوّة التي لم ولن تحصل عليها أمريكا مهما سرقت من نفط الأرض وذهبها. هذا أوانُ اليقظة والمُصارحة، ليس أوان الأعذار الشرعيَّة والمشاكل الفرديَّة. إنَّ نجاتنا الفرديَّة غدًا رهن ثباتنا وجهادنا اليوم جماعة.

وَيَأتي السُّؤالُ الَّذي يُشَكّلُ كلَّ الحَقيقَة: مَا العَمَل؟

لا يمكن للمرء تشخيص تكليفه ما لم يدرك في أيّ مشروعٍ يمضي. ومشروعنا على تعقيده وصعوبته، بالغُ البساطة، نحن في حربٍ حضاريَّةٍ مع الغرب. إنَّ كلَّ ما يُثبت قِيمةً حضاريَّةً إسلاميَّةً ودينيَّةً أصيلةً في وجهِ

الانحـراف الغربيّ يَصبُّ في عمليَّة النُّهوض الحضاريّ الذي ننشـده. حمل البندقيَّـة ضروريٌّ، لكنَّه ليـس واجبًا على الجميع، إن كنـت من أهل القتال فليكن، لكن إن كان لك مزاجٌ في مَيدان آخر لا تتردَّد.

تعلَّم حمل السـلاح لتحمي الصفَّ الأخير إذا ما بلـغ العدوُّ بابَ دارك، وليس ذلـك صعبًا على أحد، لكن مع ذلك وبعده انهض بتكليفك الخاصّ، ابحث عن الثَّغرة التي تمتلك الأهليَّة لسـدّها. الفجوة بيننا وبين عدوّنا هائلةٌ في الكثير من المجالات، وأبرزها في التكنولوجيا، وهو ميدانٌ شاسعٌ يتطلَّب الكثـير مـن العمل. لا أقصـد هنا مجرَّد العمـل في شركةٍ خاصَّـةٍ في مجال التكنولوجيا، ما أذهب إليه أن نقوم بتسـخير خبراتنـا ومعارفنا لصالح الأمَّة. بمعنـى أن نُخصّصَ جزءًا من وقتِنا وبرنامجنا الروتينيّ لتجيير ما كسـبناه في تلك المجالات لصالح المعركة. هناك أيضًا مجالُ الهندسة على سبيل المثال، بشتَّى فروعه: المدنيَّة والزراعية والصناعيّة وغيرها.

نحن بحاجةٍ مُلحَّةٍ لتطوير مفهومِنا للبناء. كيف نبني؟ كيف نبني كلّ شيء: بيوتنا، جسورنا، ملاجئنا، مسـاجدنا، مدراسنا، كيف نبني مزارعنا وبساتيننا، كيف نبني مصانعنا وآلاتنا وأدواتنا، كيف نبني خططنا ومشاريعنا. هل صُمّمت مسـاجدنا لتصبح نواة المجتمع وخليَّة النحـل الضروريّة في كل مدينة؟ هل يسـتقبلنا المسـجدُ بعد الانتهاء من الصلاة للتعلُّم والتخطيط والتدرُّب على الحِرف والمهارات وبناء العلاقات واكتشـاف الطاقات؟ أسئلةٌ لا حصرَ لها،

مفتاحها الحرص والشعور بالمسؤوليَّة، فإذا ما تحقَّق ذلك، سنجد آلافَ الفُرص والمهامَّ غير المنجزة.

أمَّا على المستوى الثَّقافيّ والاجتماعيّ، وهنا أحد أكبر ميادين البلاء، حيث تنصبُّ ماكينة الترويج الغربيَّة بكلّ زخمها وجاذبيَّتها. ما هي نظرتنا للأُسرة؟ كيف نُدير بيوتنا ونصنع علاقاتنا الاجتماعيّة؟ ما هي معاييرنا الأخلاقية في القول والفعل؟ كيف نُحدّد الصَّوابَ من الخطأ؟ لستُ هنا لأقدّمَ الإجابة، فلا أدَّعي معرفتَها، إنَّما أدعو القرَّاءَ الأعزَّاءَ للبحث معي، فلو قدَّم كلُّ فردٍ منّا قطعةً واحدةً من الزجاج لاكتملت لوحةُ "الموزاييك" كأفضل ما يكون. ذكرت ثلاثةَ ميادين، وهناك الآلاف بعد، منها ما لن يخطر ببالي حتَّى، وقد يلتفت أحدُنا إلى ثغرةٍ لا يدري بها أحدٌ سواه أصلاً، فيصبح تكليفه منذ تلك اللَّحظة أن يحملَ المِذياع ويطلق الإنذارَ المبكر، ثمَّ يحمل عُدَّته ويشرع بالعمل ويدعو الناس للّحاق به وهو غارقٌ في العمل. نحن مبتلون بكثرةِ القولِ وقِلَّة العمل، إنَّنا نسمع الكثيرَ من الدعوات والمناشدات الي تنطلق من خلف الأجهزة الذَّكيَّة والزوايا المرفَّهة، أمَّا تلك الدعوة التي تَخرجُ من الأرض، من المؤمن المجاهد الذي غرس رجليه في ميدان العمل، نادرًا ما نراها. أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب -سلام الله عليه- تعفَّف عن الطلب ولم يتعفَّف عن العمل، وهو رأس الأمَّة وقائدها، فما بالنا نحن المحتاجون إلى رحمة الله تنقذنا من تِيهنا نتكبَّرُ على التُّراب والتُّرابيّين!

كَنزُ الخدمَة المُجتَمَعيَّة

مـا أَجِدُ لَزامًا عليَّ التذكير به في هذا السـياق، هو أنَّ التصدّيَ للشـؤون المجتمعيَّة العامَّة، التي تتصّل منفعتها بالأُمَّة أو الجَماعة، إنَّما هي ذخيرةٌ تعودُ بالنَّفع على صاحبها أوَّلًا. وهذا ليس شِـعرًا، بل أمرٌ واقعيٌّ جدًّا، من ناحية ما يفتحـه هذا التصدّي من أُفق في ذهن صاحبـه، وما يفتحه أمامه من علاقات ومعـارف لم يكن ليحصلَ عليها في عمله المحدود ضمن سـقف الوظيفة. إنَّ طبيعـةَ وحجمَ العَلاقات والمعارف الناتجة عن العمل التِّجاريّ الخاصّ، سواءً الحُرُّ أو الوظيفيّ، محدودٌ إلى قدرٍ كبير. في حين أنَّ الخروجَ إلى الحَيّز المجتمعيّ يُتيح لك اكتشـاف شرائح جديدة مـن الناس، ونوعيةً جديدةً من أصحاب القُدرات والمؤهلات، وهو ما قد يضع أمامك خياراتٍ أوسع وأفقًا أرحب. ما أعنيه، أنَّه حتى على المستوى الفرديّ والماديّ، فإنَّ هذا النوَّعَ من العملِ مفيدٌ جدًّا. وأنا هنا أدعو كلَّ من يعتاد السفر خارج بلده، أن يستفيد من فرصة التَّعرُّف إلى أشـخاصٍ بثقافاتٍ ومشارب مختلفة عمَّا اعتاد الاختلاط به. هذه فرصةٌ عظيمةٌ، لابدَّ من استثمارها كأفضل ما يكون.

لا يخفـى على أحدٍ أنَّ نفس الاختصـاص العِلميّ والعَمليّ، يختلف من مكانٍ لآخر، لا بأساسـه ومبادئه، إنَّما بمصاديقه ومجالات تطوُّره. فتحدِيَّات التكنولوجيا وتهديداتهـا في لبنان قد تختلف عمَّا هي عليه في العِراق أو في مصر على سبيل المثال، لأنَّ الأرضيَّةَ الاقتصاديَّةَ والأمنيَّة والسياسيَّة تختلف

بـين تلك البدان. فقد ترى أنَّ السـوقَ العراقيّةَ مثلاً قد أعطـت اهتمامًا كبيراً لمجال الأمن السيبرانيّ (مثال قد لا يكون واقعيًّا، إنَّما للتَّوضيح)، في حين أنَّ السُّوقَ اللبنانيّة قد أبدعت في مجال الذَّكاء الاصطناعيّ، ما ينعكس بالضَّرورة على مستوى الخبرة والمعرفة لدى أهل هذا البلد أو ذاك في مجالاتٍ مختلفة. فحين يجلس الشابُّ اللبنانيُّ مع العراقيّ ويتبادلان التجربة والمعرفة، يخرج كلاهما بأغنى ممَّا دخلا فيه. وعلى ذلك فَقِسْ، فلو أنَّ شـباب أمَّتنا ومنطقتنا استثمروا اختلاطهم هذا بالشكل الذي فرضته في النموذج السابق، أو أفضل منه لمحدوديَّة اطّلاعي، لخَلقنا آلافَ الفرص للتطوُّر والتعاون، ثمَّ نعود بعد ذلك لما سبقنا الإشارة إليه، ألاَ وهو تجيير تلك الثروةِ لصالح المجتمع والأمَّة والمعركة التي تخوضها.

شـخصيًّا، لطالما كنت ضِدَّ السَّـفرِ والعملِ في الخـارج، على اعتبار أنَّ الهجرةَ تـسرق صاحبها من بلادِنا. لكنَّ كلامي السـابق ينقض هذه النظريَّةَ، ويقول أنَّ السَّفرَ يُقدّمُ فرصًا عظيمةً. نعم، فالسفر والاغتراب سيفٌ ذو حدَّين. لكنَّ منشأ كلامي في هذا المقال هو حُسن الظنّ بشبابِ الأمّة. الأساس الذي أبنـي عليه أملَ النّـصرِ القادمِ على أعـداء الأمَّة، هو وعي شـبابِها وروحهم الثوريَّة. إن كنتَ سـتغادر، فلأنَّك سـتعود قريبًا، مُحمَّلا بالتجربة والمعرفة، مُدركًا أنَّنا في انتظارك. أمَّا إن كنتَ لا تضمن سـلامةَ روحك وقلبك، وثبات إيمانك، وانغراسك في أرضك وأُسرتك وبلدك، فأرجوك ألاَّ ترحل. نحن في

مرحلة أشــدّ ما نكون فيها بحاجةٍ إلى كلّ فــردٍ منَّا، نحن ذخيرةُ هذه الأرض، نحــنُ من عليه الرهان، الســابقون قد آثروا وضحُّوا بــكلّ ما يملكون، كادت جعبهــم تنفذ، وكلّ عيونهم متّجهةٌ نحونا. إنَّ التراخي خيانةٌ، والخيانة حرام. العمل الجهاديُّ هو فكرةٌ نحملها في عقولِنا ونشاطٌ يسكن أرواحَنا وهِمّةٌ تملأ أجسادَنا، العمل الجهاديُّ ليس أن تلبس بذّةً زيتيّةً طوال الوقت. الجهاد الذي هو بابٌ من أبواب الجَنَّة يتَّســعُ للجميع، ويستقبلُ الجميعَ، الجهادُ على قدر جُهد العدوّ، فمن قاتلك بالرَّصاص قاتله بالرَّصاص، ومن قاتلك بالعلم قاتله بالعلم، ومن قاتلك بالفَنّ قاتله بالفَــنّ، ومن قاتلك بالتفكُّك قاتله بالوحدة، ومن قاتلك بالفســاد قاتله بالنزاهة، ومن قاتلك بالانحلال قاتِله بالاستقامة، ومن سَرق أرضَك ومالَك وثرواتِك وحرّيتَك، فاقطع يدَه وانزع روحَه واطرده إلى غيرِ رجعة.

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638